صور النعال النبوية بين المشرق والمغرب

دراسة تاريخية - فنية

د. محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني

مجلة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الرباط

العدد الثالث والثلاثون

2014

صور النعال النبوية بين المشرق والمغرب
دراسة تاريخية – فنية(*)

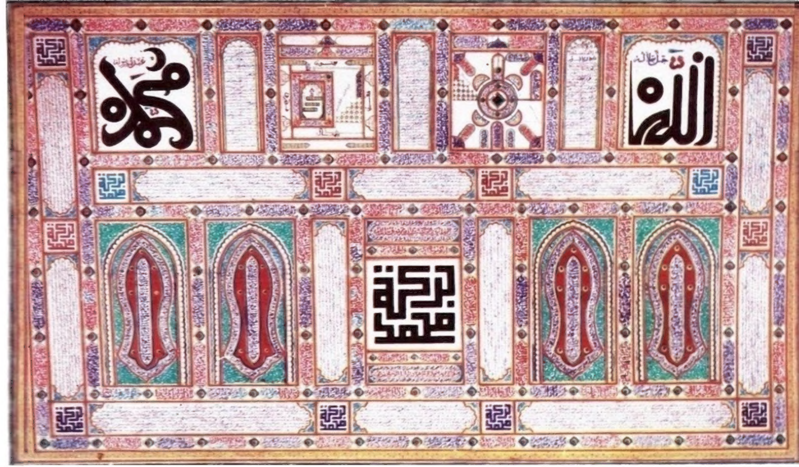
د. محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني
باحث وخطاط ـ فاس

يعتبر العصر السعدي عصر الزوايا الصوفية بامتياز، لذلك فليس غريبا أن يعرف تزايد الطلب على المخطوطات التي ترتبط بها، وخاصة مخطوطات السيرة النبوية الغراء، التي تعنى بصفات الرسول ﷺ الخُلقية والخَلقية، وعلى رأسها: نسخ كتاب: «**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**» للقاضي أبي الفضل عياض السبتي، فضلا عن مخطوطات: «**الأذكار والأوراد وأدب الرقائق**» التي نجد على رأسها نسخ كتاب: **دلائل الخيرات** لمحمد بن سليمان الجزولي، التي وظفت فيها صور رمزية ترمز إلى الرسول ﷺ، تجمع بين دلالة النص وجودة الخط والزخرفة والتنميق، ومن أهم تلك الصور على سبيل المثال لا الحصر؛ «الحرم المكي وكعبته المشرفة»، «الحرم النبوي وروضته الشريفة»، «النعال النبوية الشريفة»...

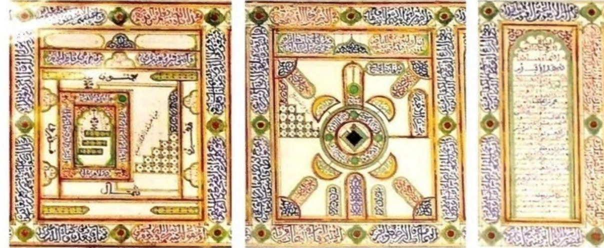
وبتصفُّحنا وتفحُّصنا لتلك النسخ المخطوطة، يسترعي انتباهنا حضور صور النعال النبوية الشريفة، أكثر من أي صور رمزية أخرى قد تدلنا على شخص رسولنا الكريم ﷺ، مما يؤكد أنها اكتست عند المغاربة أهمية كبرى، حيث كانوا

(*) إقتبس الباحث هذا المقال من رسالته الجامعية لنيل الدكتوراه في التاريخ بعنوان : «**المصاحف والكتب المخطوطة في المغرب خلال العصرين المريني والسعدي، مساهمة في دراسة أصناف الخط المغربي وأقلامه**» نوقشت بكلية الآداب، فاس ـ سايس 2011. الجزء 2 ص.ص 469-485.

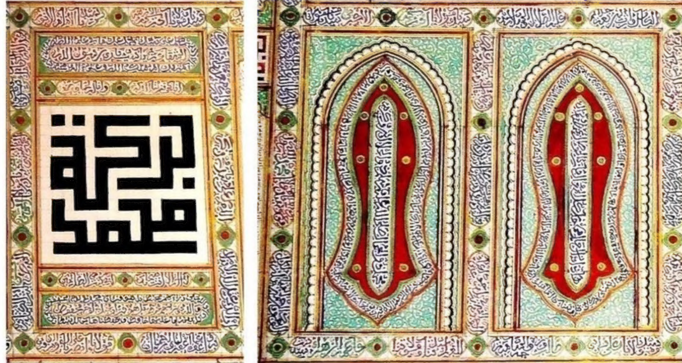
يرسمون أمثلتها بشكل تحاكي معه صفة النعال النبوية الأصلية - على حد زعم أصحابها - وذلك بغرض التبرك بها، بل ووظفوها في عهود متأخرة؛ في لوحات حائطية مزخرفة كانت تزين بها البيوت، كما نلاحظ - مثلا - من خلال لوحة: «**الروض**» لأحمد بن محمد التادلي (انظر شكل: 1 وشكل: 2).



شكل: 1 / لوحة أنجزها أحمد بن محمد التادلي الرباطي، وأطلق عليها إسم: «الروض»، استلهم معانيها ومواضيعها الفنية من كتاب دلائل الخيرات للجزولي.
المصدر: الخزانة العلمية الصبيحيَّة - سلا



أذكار
صورة المسجد الحرام ، تتوسطه الكعبة المشرفة
صورة المنبر والروضة الشريفة في المسجد النبوي



صورة رمزية لنعال النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي محاطة بنسب أهل البيت
التبرك برسول صلى الله عليه وسلم

شكل: 2 / **العناصر الفنية في لوحة الروض للتادلي حسب أحجامها الطبيعية**

ولأن «**أحمد بن محمد المقري**» اهتم بالنعال النبوية أكثر من غيره من المحققين، فإنه يسوق لنا شهادة مفادها أن المغاربة كانوا أكثر اعتناء بهذه الأمثلة من المشارقة، حيث يذكر «أن الذين تعرضوا للمثال من علماء المغرب، أكثر من الذين تعرض له من أهل المشرق... [حتى إن] ابن عساكر الذي هو المعتمد عند أهل المشرق في هذا الأمر، لم يأخذه إلا عن ابن الحاج المغربي»[1].

وسبب ذلك - حسب المقري - هو أن **النعل النبوية [كانت] بعينها موجودة بين أظهرهم، عند بني أبي الحديد ثم بالمدرسة الأشرفية بالشام.. وأما المغاربة فلم يمكنهم إلا المثال، ومن ارتحل منهم إلى المشرق ورأى النعل النبوية كابن رشيد، مثَّل عليها، وهذا بحسب الغالب، وإلا فأهل المشرق مثَّل جماعة منهم أيضا، وقد كان كثير من العلماء بالمشرق يتبركون بمشاهدة النعل النبوية عند بني أبي الحديد، ثم بالمدرسة الأشرفية عندما جعلت فيها**»[2].

وقد كان المقري صائبا فيما قاله، بدليل أن أحمد تيمور - وهو من المعاصرين - قد نقل معظم ما يتعلق بالنعال النبوية، عن كتاب «**فتح المتعال في مدح النعال**»، عند حديثه عنها في كتابه: «**الآثار النبوية**»[3].

وبناء عليه، يمكن اعتبار هذا الكتاب - الذي نقل عنه أحمد تيمور وغيره من المعاصرين كالشيخ يوسف النبهاني الذي سنتعرض لذكره - من أهم المصادر التي تطرقت لأوصاف النعال النبوية وما قيل فيها، وقد ألفه صاحبه - المقري - في عهد السلطان أبي المعالي زيدان السعدي (1012- 1037هـ) عبر مرحلتين:

الأولى: مسودة الكتاب، وقد انتهى منها في شوال من سنة 1030هـ بالقاهرة، وكتب منها عدة نسخ حملت إلى بلاد الروم وغيرها، ثم ألحق بها زيادات استقاها من كتابين وقف عليهما بعد هذا التاريخ، أحدهما لابن عساكر، والثاني مختصره للبلقيني[4].

---

(1) المقري (أحمد بن محمد)، فتح المتعال في مدح النعال، تحقيق: علي عبد الوهاب وعبد المنعم فرج درويش، دار القاضي عياض للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى: 1997م، ص168.

(2) نفس المصدر والصفحة.

(3) تيمور (أحمد)، الآثار النبوية، مطبعة: دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى: 1951م، صص: 109 - 129.

(4) المقري، فتح المتعال، ص: 572

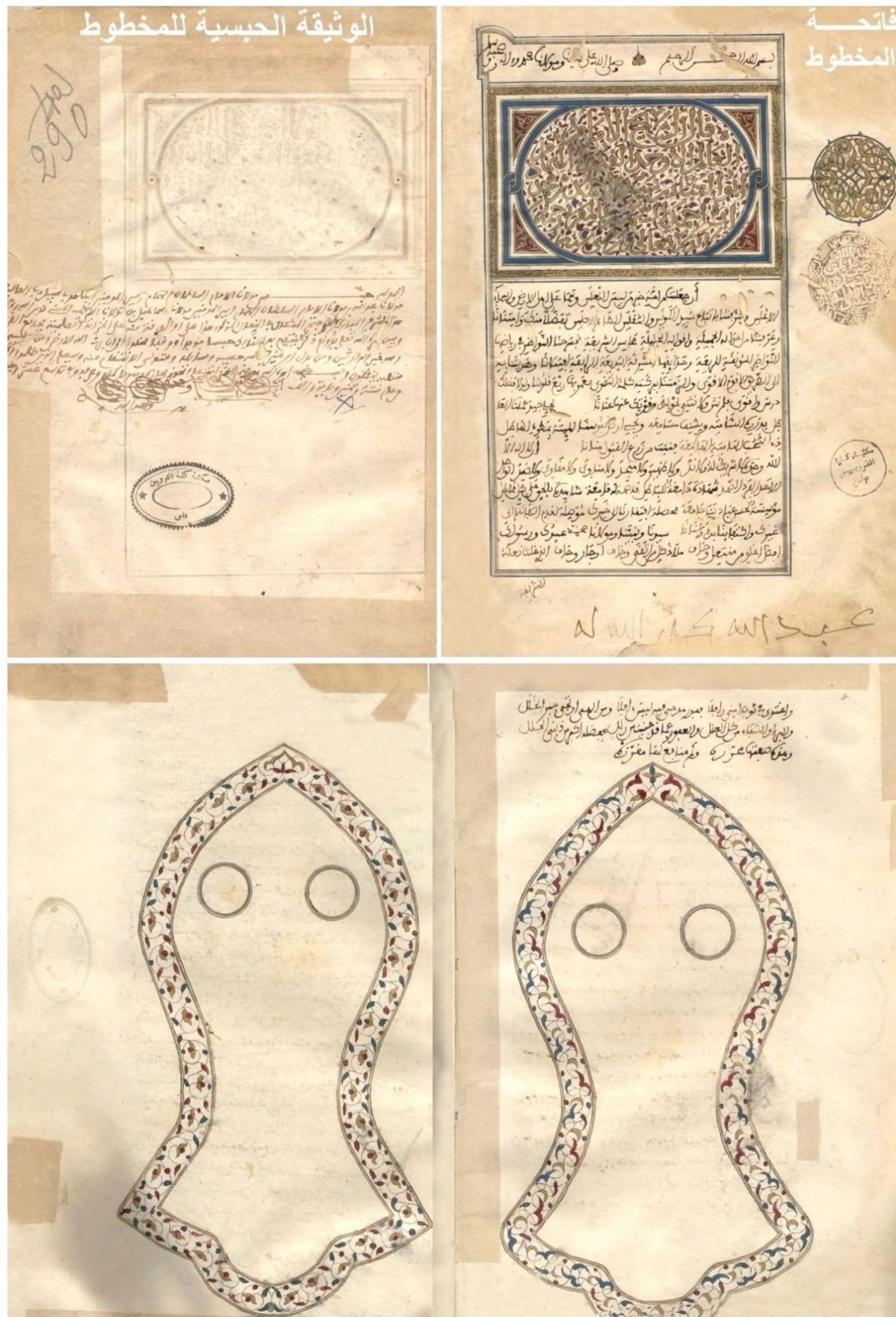
الثانية تحرير نسخة منقحة مزيدة،عن أصل الكتاب المذكور سنة 1033هـ **وهي نسخة القرويين التي اخترنا منها صفحات مثلناها في الشكل 3. محفوظة** بنفس الخزانة تحت رقم: 290. وتتميز هذه النسخة بكونها النسخة التي كتبها المؤلف بنفسه، بالحجرة الشريفة بالمدينة المنورة، يوم: الثلاثاء، منتصف رمضان من سنة 1033هـ. ويذكر المقري أنه نسخها «**في الروضة بين القبر الشريف والمنبر المنيف، تجاه الرأس الشريف، لصق شباك الحجرة المعظمة النبوية، في الناحية التي تليها سارية التوبة، في الصف الذي فوق باب الحجرة النبوية، المعروف بباب الوفود، وكان ابتداء ذلك يوم الثلاث المبارك غرة رمضان، من عام ثلاث وثلاثين وألف، وانتهاؤه يوم الثلاث الخامس عشر من الشهر المذكور، قال المؤلف**: **وكنت أكتب كل يوم من وقت الضحى إلى الظهر، فكملت ولله الحمد والمنة على هذه الصفة في نصف شهر**»[5].

وقد أورد المقري في هذه النسخة رسوما للنعال النبوية الشريفة[6]، قال عنها إنها أصح أمثلة تم حذوها على النعل النبوي، والجدير بالذكر أن هذه الأمثلة التي أوردها المقري في كتابه، هي من أقدم النماذج التي وفقنا في الحصول عليها (انظر شكل: 3).

---

(5) المقري، فتح المتعال، ص: 572- 573.

(6) دراسة النعال الشريفة هي في الأصل مبحث استخرجناه من أطروحتنا لنيل الدكتوراه. وهو تحت عنوان: **«النعال النبوية الشريفة»**. راجع:
خبطة (محمد عبد الحفيظ)، المصاحف والكتب المخطوطة في المغرب خلال العصرين المريني والسعدي: مساهمة في دراسة أصناف الخط المغربي وأقلامه، أطروحة جامعية غير منشورة، كليـة الآداب - سايـس: فـاس 2010 - 2011، ج/ 2، صص: 469 - 491



شكل: 3 / صفحات من مخطوط «فتح النعال في مدح النعال» الذي ألفه المقري بالحجرة الشريفة بالمدينة المنورة، يوم الثلاثاء منتصف رمضان 1033هـ في تاريخ يزامن فترة حكم زيدان (1012 - 1037هـ) بن أحمد المنصور الذهبي

المصدر : خزانة القرويين - فاس، رقم : 290

ولمزيد من التدقيق، فإن كتاب «**فتح المتعال في مدح النعال**»، **طبع من طرف دار القاضي عياض** للتراث بالقاهرة سنة 1997م، وهو في أزيد من **600 صفحة**، وبرجوعنا إليه، وجدنا المقري قد تعرض في مقدمته إلى ذكر أهم المصادر التي استفاد منها في تأليف كتابه وهي كالتالي:

* **كراسة لبعض المغاربة السبتيين** مشتملة على مقطّعات تقرب من الثلاثين.

* «**نتيجة الحب الضميم وزكاة المنثور والمنظوم**» لأبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، قال عنه ابن رشيد السبتي: «**ويرحم الله أبا الربيع لو قال: النثير والنظيم لكان أنسب للقرينة الأولى**».

* **كتاب لأبي إسحاق إبراهيم بن الحاج المزني الأندلسي**.

* **كراسة صغيرة في النعال للحافظ ابن عساكر**، أخذ مضمونها عن شيخه ابن الحاج الأندلسي.

وقد ذكر الحافظ السخاوي اسم تلك الكراسة، حين نقل عن ابن عساكر إحدى فتاواه في المسألة: 101، بعدما سئل عما يكتب لمن يتعسر عليه الولادة، فقال مجيبا: «وروينا في جزء تمثال النعال لابن عساكر؛ أن مثال النعال الشريف، إذا أمسكته الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطلق، تيسر أمرها بحول الله وقوته»[7].

* «**خدمة نعل القدم المحمدي**»، وهي مختصر «**تمثال النعال**» لابن عساكر، اختصره السراج البلقيني وزاد فيه أشياء يسيرة، وقد نقل المقري عنه مقدمته[8].

وفي كتاب «**أزهار الرياض**»، أورد المقري أنه استفاد من منظومات شعرية اهتمت بوصف النعال النبوية والتوسل بها، لشاعر إسمه: محمد بن فرج، سماها:

---

(7) السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)، **الأجوبة المرضية**، تحقيق الدكتور محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار الراية، الطبعة الأولى: 1997م، ج/ 1ص: 384.

(8) نفس المصدر، ص: 35-36.

«**بالقطع المخمسة، في مدح النعال المقدسة**»[9]. ونقل من خطه قوله عن قصائده: «**وآثرت التخميس على التعشير، ليكون أسرع لحفظها، وأبرع للفظها**»[10]، وهي القصائد التي خصص لها المقري فصلا مستقلا سماه: «**استطراد لما قيل في نعل النبي ﷺ**». وقال معللا: «**قلت: وإذ جرى ذكر النعل النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فلا بد أنّ نورد جملة مما قيل في مثالها على جهة التبرك، والتوصل بصاحبها إلى الله سبحانه، أنّ يفرج عنا بجاهه كرب الدنيا والآخرة**»[11]. وقد شغل هذا الفصل حوالي: 57 صفحة من الجزء الثالث[12]. وأورد صفتها بشكل يتشابه تماما مع نسخة القرويين، ولا تختلف النسخة التي اعتُمد عليها في التحقيق، إلا في نوع الخط الذي يظهر أنه نسخي حديث، تمت إضافته في عهود متأخرة لتمثال النعل الذي وضعه المقري (أنظر شكل: 4).

وتجدر الإشارة إلى أن المقري قد كتب كتبا أخرى تتحدث عن النعال النبوية الشريفة، أشار إلى أسمائها في كتابه **فتح المتعال**، وهي: «**نفحات العنبر، في وصف نعل ذي العُلى والمنبر**»[13]، ولسنا ندري هل المقصود به كتاب: «**النفحات العنبرية، في نعل خير البرية**» الذي ذكره في مقدمة **فتح المتعال**[14]، أم أن الأمر يتعلق بمخطوط آخر غيره.

---

(9) المقري (أحمد بن محمد)، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، طبعة: 1942، ج/ 3، ص: 228.

(10) نفس المصدر والصفحة.

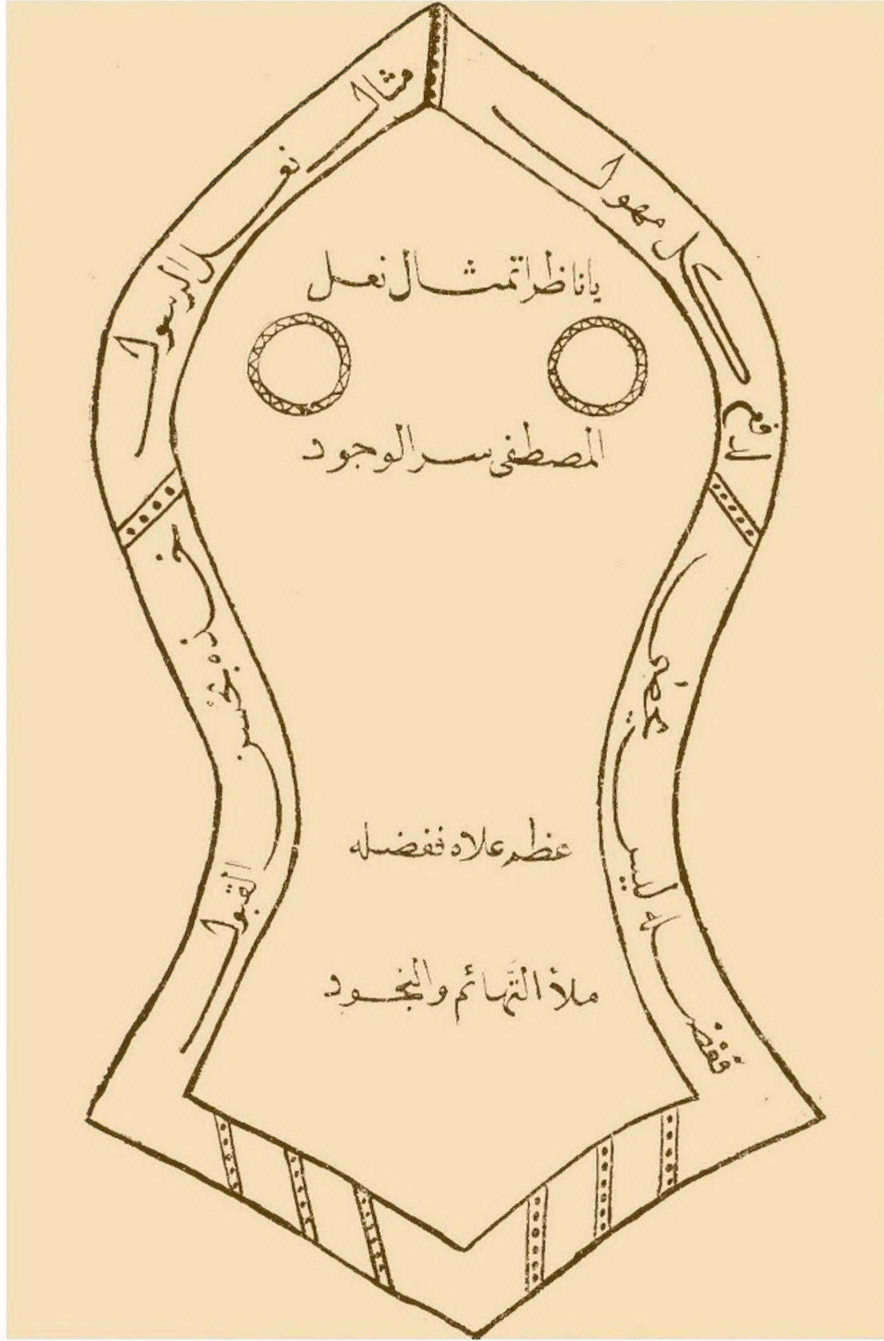
(11) نفس المصدر، ج/ 3، ص: 225.

(12) نفس المصدر، ج/ 3، من صص: 225 - 282.

(13) ذُكر أنه مخطوط في جوته ورقمه: 631/ 1، أنظر مدح النعال، ص: 23.

(14) نفس المصدر، ص: 39-40

إحدى نسخ هذا المخطوط، محفوظة بتطوان تحت رقم: 62، وقد بعث المقري بنسخة من هذا **المخطوط** إلى شيخه الدلائي.



شكل: 4 / مثال النعل النبوي الذي حذاه المقري عن مثال عن مثال بالسند المتصل عن النعل النبوي الذي كان محفوظا بدار الحديث الأشرفية بدمشق (من النسخة التيمورية)
المصدر: أزهار الرياض في أخبلر القاضي عياض للمقري، ص: 267.

بالإضافة إلى المصادر السابقة؛ هناك مخطوط آخر تطرق لذكر النعال النبوية، أشار إليه أبو سالم العياشي في رحلته، وهو كتاب: «**منتهى السول، في مدح الرسول**» الذي ألفه «ابن عذرة الأنصاري المغربي» سنة 673هـ، ويقع في أزيد من خمسة وعشرين جزءا[15]. وموطن الشاهد عندنا هاهنا؛ هو أن أبا سالم العياشي لما اطلع بمكة على نسخة من هذا المخطوط، ووجد فيه مجموعة من الشعر في مثال نعل رسول الله صلى عليه وسلم، قال: «لم يطلع على هذا التأليف شيخ مشايخنا الحافظ سيدي أبو العباس المقري؛ مع سعة حفظه وكثرة اطلاعه، ومبالغته في التنقير والتفتيش عما قيل في النعل، ولم يطلع لمن قبل عصره إلا على عدد أقل من هذا بكثير، وغالب ما أودعه في كتابه: فتح المتعال في مدح النعال، كلامه وكلام أهل عصره، ولو اطلع على هذا الكتاب لاغتبط به كثيراً»[16].

وقد أشار الأستاذ إحسان عباس في مقدمة تحقيقه لكتاب: «**نفح الطيب**» إلى هذا الرأي وفنده، مستدلا بإشارة المقري للكتاب المذكور ونقله عنه[17]. إذ أن المقري نقل مجموعة أبيات في مدح النبي ﷺ؛ من قول الفقيه الكاتب أبي العباس أحمد بن محمد بن العباس المغربي، وأشار إلى مصدرها بقوله: «نقلته من المجلّد الخامس والعشرين من كتاب: منتهى السول في مدح الرسول، للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة المغربي الأنصاري، رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا بقصده»[18].

وأضاف إحسان عباس إلى أن ما قصده العياشي من قوله، هو أن المقري لم ير الجزء الذي ذكر فيه مدح النعال النبوية، بسبب ضخامة الكتاب وتعدد أجزائه (25 جزءا)[19].

---

(15) العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد)، **الرحلة العياشية**، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى: 2006، ج/ 2، ص: 347.

(16) نفس المصدر، ج/ 2، ص: 348.

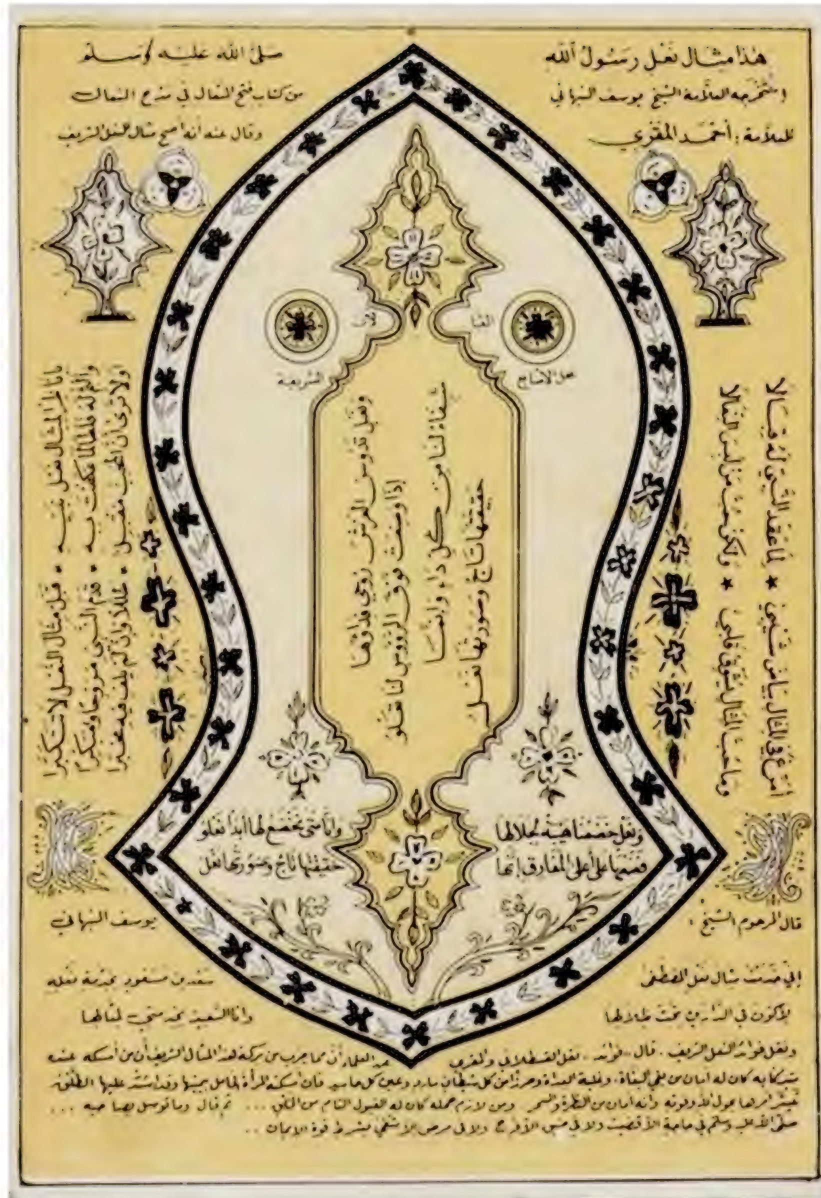
(17) المقري، **نفح الطيب**، ج/ 1، ص: 9.

(18) نفس المصدر، ج/ 7، ص: 459.

(19) نفس المصدر والصفحة.

وكيفما كان الحال فإن اعتمادنا على نسخة القرويين المخطوطة لهذا الكتاب، كان الهدف منه الوقوف على أمثلة النعال الشريفة وأشكالها، ومعلوم لدينا أن هذه النسخة ترجع إلى أواخر العصر السعدي كما يتبين ذلك من تاريخها، الذي يرجع إلى سنة: 1033هـ ، أي إلى عهد أبي المعالي زيدان بن أحمد المنصور الذهبي (1012- 1037هـ).

وتعد هذه الأمثلة التي رسمها المقري، بالسند المتصل عن شيوخه من أقدم الأشكال المعبرة عن نعل النبي ﷺ، وهي التي تم تقليدها في رسم النعال في معظم المخطوطات المغربية، بل وحتى المشرقية منها، ويعزز هذا الرأي، عثورنا على مثال مشرقي للنعل النبوي، ورد فيه ما نصه: «**هذا مثال نعل رسول الله ﷺ، استخرجه العلامة الشيخ يوسف النبهاني من كتاب فتح المتعال في مدح النعـال، للعلامة أحمد للمقري، وقال عنه أنه أصح مثال للنعل الشريف**».(أنظر شكل: 5).



شكل: 5 / رسم للنعل النبوي الشريف، يبدو أن منفذه مشرقي، بالنظر إلى خطي النسخ والرقعة اللذين وظفا فيه.

ورد فيه أنه رسم نقلا عن «كتاب فتح المتعال في مدح النعال» للمقري، وأنه أصح مثال للنعل الشريف[20].

---

(20) yahabib.blogsome.com

ومعلوم لدينا أن يوسف النبهاني المذكور، قد اختصر كتاب **فتح المتعال في مدح النعال**، للمقري، وسماه **بلوغ الآمال من فتح المتعال**، ثم أدرجه في مصنفه الضخم **جواهر البحار، في فضائل النبي المختار** ﷺ[21]، وقد تمت إعادة نشر الجزء الأول من هذا الكتاب ضمن مجموع يتكون من ثلاث مؤلفات نبوية لمؤلفين مختلفين من ضمنهم النبهاني، نشرته مكتبة الحقيقة باستانبول سنة: 2003[22]، وذكر النبهاني في كتابه أنه اطلع على عدة نسخ مخطوطة، لكتاب **فتح المتعال في مدح النعال**، فوجد في كل نسخة منها زيادة على الأخرى، وكان كلما ظهرت له زيادات يزيدها على هامش نسخته بنية طبعها وتعميم النفع بها، فلم يتيسر له ذلك، فقام باختصاره وأثبت فيه ما لا بد منه ولا غنى عنه، فجاء حسب قوله مختصرا نافعا جامعا لكل المقصود من ذلك الكتاب وعلمه، مع كونه في خُمس حجمه لأنه حذف منه الفوائد الاستطرادية، التي ذكرها لمناسبة أو لغير مناسبة من معان شتى لا دخل لها في المقصود بالكلية، وهي كثيرة جدا تزيد على المعاني المقصودة من تأليف الكتاب، كما حذف معظم الأشعار التي ذكرها في مدح النعل، ولم يثبت منها إلا ما وقع اختياره مما فاق وراق[23]. وختم الكتاب بخوارق تضاف إلى مثال النعل الذي نقل صورته عن كتاب المقري.

وحتى نتعرف على قيمة كتاب **فتح المتعال في مدح النعال**، نشير إلى أنه قد نال شهرة كبيرة في المغرب والمشرق، إلى درجة أن أحد أدباء الشام - وهو أحمد بن شاهين الشامي - أرسل إلى المقري أبياتا يمدحه فيها على تأليفه لكتابه المذكور، قائلا[24]:

---

(21) النبهاني (يوسف بن إسماعيل)، **جواهر البحار في فضائل النبي المختار** - ﷺ - طبعه يوسف النبهاني، بيروت، طبعة: 1916م، ج/ 3، من ص: 930 إلى ص: 975

(22) **النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد بني آدم** لابن حجر، ويليه: كتاب جواهر البحار للنبهاني، ويليهما الحقائق في قراءة مولد النبي عليه السلام، مكتبة الحقيقة، استانبول، طبعة 2003، بدايته من الصفحة: 133.

(23) النبهاني، **جواهر البحار**، ج/ 3، ص: 931

(24) المقري، نفح الطيب، ج/ 2، ص: 415.

أأحمد، فخراً يا ابن شاهين سامياً بـأحـمـد ذاك المـقـري المسـدّد
بمـن راح خدّامـاً لنعل محمدٍ وناهيك في العليا بأرفع سؤدد
فـإن أنـا أخـدم نعله فلطالما غـدا خادمـاً نعل النبيّ الممجّد
بتأليفه في وصف نعلٍ تكرّمت كتاباً حوى إجلال كلّ موحّد
ويكفيك فخراً ياابن شاهين أن ترى خـدومـاً لخـدّام لنعل محمّد
فقلت له طوبى بخدمة أحمدٍ فقال كذا طوبى بخدمة أحمد

وقد أسهب المقري في ذكر أقدم أمثلة النعال النبوية في المغرب، وعددها- حسب رأيه - ستة أمثلة، خصص لكل واحد منها مبحثا تفصيليا، معززا بصورة رمزية تدل عليه، وهي كالتالي:

* **المثال الأول** لمحمد بن عبد الله السبتي، وهو يرجع إلى أمثلة مسلسلة إلى القاضي إسماعيل بن أبي أويس بن أخت الإمام مالك وتلميذه[25].

* **المثال الثاني** وهو لأبي يعقوب المحساني السبتي[26].

* **المثال الثالث** لمحمد بن علي بن عبد الحق الأنصاري، المعروف: «بابن القصاب»، قاسه بمدينة فاس على مثال المحساني المذكور، بتاريخ: 21 شعبان من سنة: 677هـ[27].

* **المثال الرابع** لمحمد بن عمر المعروف بابن رشيد الفهري السبتي حذاه على مثال ابن القصاب[28].

* **المثال الخامس** لمالك ابن المرحل السبتي الذي نظم قصيدة في مدح النعال، وهو الذي يشير إليه المقري في العنوان الذي سمى به كتابه **فتح المتعال في مدح النعال**[29].

---

(25) المقري، فتح المتعال، من صص: 175 - 195.
(26) نفس المصدر، من ص: 197 إلى ص: 201.
(27) نفس المصدر، ص: 204 - 205.
(28) نفس المصدر، ص: 206.
(29) نفس المصدر، ص: 207.

* **المثال السادس** وهو مثال آخر لابن رشيد، قاسه على عين النعل النبوية الشريفة التي كانت بدار الحديث الأشرفية بدمشق، وقد وقف عليها أثناء سياحته بالمشرق العربي[30].

ويبقى أهم مثال من بين هذه الأمثلة، هو مثال ابن رشيد صاحب الرحلة المسماة **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة** (توفي 721هـ في عهد أبي سعيد المريني)، وقد تم تحقيق الجزء الثاني الخاص بتونس والجزء الخامس الخاص بالحرمين الشريفين ومصر والإسكندرية، من طرف الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، مفتي الديار التونسية[31]. لكن الجزء الرابع الخاص ببلاد الشام، الذي ورد فيه ذكر النعل النبوي المحفوظ فيها فهو مفقود. ومن جهتنا، فإننا حاولنا جمع تلك الأشكال الستة التي رسمها المقري؛ بالإسناد عن شيوخه في هذا الشأن، وذلك للتعرف على أوجه التشابه والاختلاف بينها، حيث اعتمدنا على نسختين أخريين بالإضافة إلى نسخة القرويين التي انطلقنا منها في دراستنا للنعال النبوية، فوقفنا على مدى التطابق بين أشكال النسخ الثلاثة (أنظر شكل: 6 وشكل: 7).

لكن التساؤل المطروح: أين هي النعل النبوية التي كانت بدار الحديث الأشرفية بدمشق، والتي حذا عليها شيوخ المقري أمثلتهم، هل ضاعت أم تم نقلها إلى صقع آخر؟

للإجابة على هذا السؤال، نشير إلى أن النعل النبوي الذي كان محفوظا في دمشق، ربما قد تم نقله منها - في ظروف غامضة - إلى إستانبول في ظل الدولة العثمانية، ودليلنا في ذلك هو ظهور نعل جلدي يقال إنه منسوب إلى النبي ﷺ، وهو محفوظ اليوم بمتحف طوب كابي سراي بإستانبول. (انظر شكل: 8)[32]،

---

(30) المقري، فتح المتعال، من صص: 208 - 209.

(31) السبتي (ابن رشيد)، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، المعروف برحلة ابن رشيد السبتي، تحقيق: مفتي الديار التونسية؛ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، ج/2. الدار التونسية للنشر، طبعة: 1982م. ج/5. دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1988م.

(32) الصورة منقولة عن الموقع الالكتروني التالي : www.mika2eel.com/html/bilder.htm

وتجدر الإشارة إلى أن الجزء الذي وظف من النعل النبوي الشريف في رسم النعال النبوية؛ التي نرى أمثلتها في مخطوطاتنا المغربية، هو الجزء الأسفل، حيث تكاد الصفات الفنية المتعارف عليها بالتواتر من قبل الخطاطين والمزخرفين، تنطبق على أسفل النعل المحفوظ بالمتحف السابق الذكر كما يبينه الشكل: 8.



المثال الأول



المثال الثاني



المثال الثالث



المثال الرابع

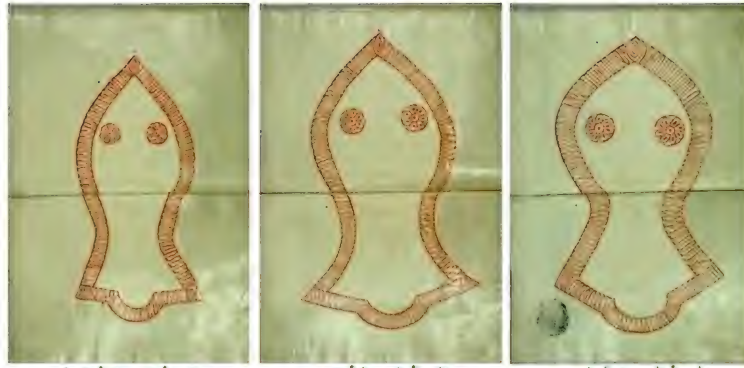


المثال الخامس



المثال السادس

شكل: 6 / الأمثلة الستة للنعال النبوية، التي أوردها المقري في كتابه:
"فتح المتعال في مدح النعال"، بالسند المتصل عن شيوخه
المصدر: نسخة كتبها عبد الفتاح الأزهري سنة 1065هـ





شكل: 7 / الأمثلة الستة للنعال النبوية، التي أوردها المقري في كتابه "فتح المتعال في مدح النعال"، بالسند المتصل عن شيوخه

المصدر: من نسخة محفوظة بجامعة الملك سعود، رقم: ف.م/ 219



شكل: 8 / صورة النعل المنسوب إلى النبي ﷺ

المصدر: متحف "طوب كابي سراي". بإستانبول

و إذ نستعرض هذا النعل الجلدي المنسوب إلى الرسول ﷺ، نشير إلى أنه قد يكون مجرد مثال للنعل الأصلي - هذا إن كان حذوه عنه قد تحقق وقوعه - ودليلنا في ذلك ما أشار إليه المقري؛ من أن الحذو على النعال الشريفة، لم يكن على الورق فحسب، بل حتى على الجلد وهذا هو الأصل فيه، يقول المقري: «.. وأيضا فأي فرق بين حذو المثال من الجلد أو من الورق، وقد رأينا عدة أمثلة من الورق محاكية للنعل، كما يحاكى بالجلد منها ما اعتمده أكثر ممن قدمناه من الأئمة الأعلام، وليس الخبر كالعيان.. فإن قلت سلمنا أن الورق والجلد سواء، لكن نقول: إن المطلوب أن يقص الورق على مقدار النعل كما تُحْذَى النعل على النعل»[33].

وقد أكد إثر ذهابه إلى الشام، أنه لم يقف على النعال النبوية التي كانت بدار الحديث الأشرفية، حيث يقول «**وقد فحصت عن أمر هذه النعل الشريفة في زماننا [أي: فترة حكم زيدان السعدي]، فلم أجد لها عند أحد ممن سألت خبرا، وأظن أنها ذهبت في فتنة تيمورلنك حين خرب دمشق وأحرقها سنة: ثلاث وثمان مائة**»[34].

ونشير في هذا المضمار، إلى أن المثال الذي حذاه المقري نفسه، إنما حذاه عن مثال بالسند المتصل، وليس عن النعال الأصلية التي أكد اختفاءها.

وحتى لا تفوتنا الفرصة في هذا المقام، نشير إلى أن السعديين - وفي إطار تسابقهم السياسي مع العثمانيين الذين كانوا يرومون السيطرة على بلاد المغرب آنئذ - قد كانوا يعضدون ذلك التسابق بإظهار مظاهر قوة الدولة وقدسيتها في كل مناحي الحياة، بما في ذلك الاتجاه الفني؛ الذي يعبر عن حضارة الدولة و يخلد ذكرها. وما دمنا نتكلم هاهنا عن النعل النبوي، نشير إلى أن السعديين - ولدلالة النعل الروحية - قد تسابقوا مع العثمانيين للحصول عليه، ولا ندري أحصلوا عليه أم لا ؟!

لكن هناك إشارة مصدرية تشير إلى أن الأمثلة الأولى في العصر السعدي للنعال النبوية، كانت مقيسة على النعل النبوي الذي صار - فيما يقال - إلى أحمد

---

(33) المقري، فتح المتعال، ص: 189.

(34) نفس المصدر، ص: 524.

المنصور الذهبي، الذي حفظه بدوره عند والدته الحرة: «مسعودة الوزكيتية»؛ حسب ما أشار إليه المنوني انطلاقا من كناشة وقف عليها بنفسه - كما يذكر - بمكتبة: «محمد بن بوبكر التطواني»، وهي لمحمد بن عبد القادر الفاسي، الذي نقل فيها الخبر عن مخطوط يحمل عنوان: «**يمن النوال في وصف النعال**» لمؤلف يدعى: «البوسعيدي»، وهو من ضمن الذين حذوا عن تلك النعل النبوية، حيث يشير - حسب ما نقله عنه محمد الفاسي - إلى النعل النبوية بقوله: «وكانت [النعل النبوية] عند أم السلطان، فمكنت منها بعض من يواليها من طلبتها، فحذا عليها، وحذا الناس على حذوه»[35].

وهنا نتساءل لماذا جاءت النعال النبوية الشريفة؛ التي رسمت في المغرب متطابقة إلى حد دقيق؛ في مجموع تفاصيلها مع أسفل النعل الذي أدرجناه سابقا في الشكل: 8؟

ألا يمكن افتراض أن النعل المحفوظ الآن بمتحف: «طوب كابي سراي» باستانبول، هو النعل الذي كان عند المنصور الذهبي، لكنه آل إلى العثمانيين في ظروف غامضة بعد وفاة المنصور وضعف أبنائه، كما آلت مجموعة من النفائس المغربية إلى المشرق، إما عن طريق الإهداء كمصحف أبي الحسن المريني المحفوظ حاليا بالقدس، أو عن طريق السرقة، كما وقع لخزانة أبي المعالي زيدان السعدي!

إن كان الأمر كذلك فبها ونعمت، وإن لم يكن، ألا يمكن أن نفترض افتراضا آخر، نشير من خلاله إلى أن النعل الجلدية التي كانت عند المنصور، لم تكن سوى مثالٍ (كمثال النعل المحفوظ في إستانبول) اتخذه المنصور عنده للتبرك به، بعدما تم حذوه على النعل النبوي الأصلي! وعن ذلك المثال المنصوري تم حذو الأمثلة الورقية التي نلاحظها في مخطوطاتنا المغربية!!

للإجابة على بعض التساؤلات، نستدل بإشارة للبوسعيدي حول مصير النعل النبوي، الذي كان يوجد بحوزة المنصور الذهبي.

---

(35) المنوني (محمد)، «**التصوير بالمغرب الإسلامي في القديم**»، مجلة دعوة الحق، الرباط ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد: 2/ 1، السنة الرابعة عشرة، يناير 1971م، ص: 92.

يقول البوسعيدي: «وقد سألت هل بقيت بأيديهم [يقصد السعديين] إلى الآن [أواسط العقد الثاني من القرن 11 الهجري]، فقيل لي: لعلهم بعثوها في بعض الهدايا، فالله تعالى أعلم، وهذه الرواية أقرب عهد وصحة بحمد الله، لكن على تسليم صحة الأصل الذي بيد السلطان رحمه الله تعالى، وقد كنت حذوت على الحذو الذي حذا عليها، فحيل بيني وبينه بالسفر والانتقال من بلد إلى أخرى، وما هنا [يقصد مثال النعل في تأليفه المنقول عنه] إنما هو بالتقريب على ما تعلق بالمحفوظ عنها»[36].

من خلال هذه الشهادة إذن، يتضح أن البوسعيدي رجح إهداء النعل الذي كان بحوزة المنصور من طرف السعديين إلى جهة غير معروفة، ثم أشار إشارة مبطنة تطرح التساؤل حول صحة أو عدم صحة نسبة ذلك النعل إلى رسول الله ﷺ، ونستنتج ذلك من قوله: «.. **لكن على تسليم صحة الأصل الذي بيد السلطان رحمه الله تعالى..**».

وقد وردت إشارة في نزهة الحادي تؤكد توطد العلاقات بين زيدان السعدي والعثمانيين، حيث يذكر أنه قد بعث مع كاتبه عبد العزيز الثعالبي عشرة قناطير من الذهب إلى إستانبول كهدية للسلطان العثماني، مقابل إمداده ببعض الجنود لمواجهة الفتن الداخلية التي كانت بالمغرب آنذاك[37]. وبناء عليه، يمكن أن نفترض وصول النعل النبوي إلى إستانبول في ظل هذه العلاقات، كهدية في إطار سري خلال زمن زيدان أو بعض أبنائه.

وحتى لا ندخل في هذا الجدل، نشير إلى أن أمثلة النعل النبوي الواردة في مخطوطاتنا المغربية - وهذا هو موطن الشاهد عندنا - اتخذ رسمها في المغرب سنة جرى عليها المغاربة، وخاصة في العصر السعدي بعد محاذاة تلك النماذج بالنعل الذي كان في حوزة المنصور، أو بالمثال الذي وضعه المقري في كتابه، وهنا نشير إلى

(36) المنوني، التصوير بالمغرب الإسلامي في القديم، ص: 95.

(37) اليفرني (محمد الصغير بن الحاج)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، علق عليه وصححه: المحقق هوداس، مطبعة: بردان وشركاؤه، نشر: إرنست لورو، مكتبة مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس، طبعة: 1888م، ص: 239.

أنه تم تصوير أمثلة أخرى على النعال الشريفة في أواخر العصر السعدي، كانت ولا تزال بدار الشرفاء الطاهريين الصقليين بحي مصمودة من عدوة الأندلس بفاس[38]. وقد صارت هذه الأخيرة معتمد الأمثلة المصورة بعدها في أواخر العصر السعدي والعصر العلوي من بعده، مع بعض التصرفات الفنية الطفيفة طبعا. قال القادري: «واحتذى الناس عليها كم من مثال»[39].

وكثرة الأمثلة التي تم حذوها على تلك النعال راجع بالأساس، إلى استعمالها من طرف المغاربة في سائر أحوال حياتهم اليومية قصد التبرك بها، كما يستفاد ذلك من إشارة وردت في إحدى شروح دلائل الخيرات للجزولي، ساقها أبو حامد الفاسي. يقول أبو حامد الفاسي في المخطوط السالف الذكر: «وكثيرا ما يصنع الناس من الكاغيد وغيره، مثال النعل الكريمة، ويجعلونه على رؤوسهم وفي بيوتهم وبضائعهم تميمة»[40].

وقد أشار المقري إلى هذا الاستخدام في أزهار الرياض[41]. بينما أفرد له بابا مستقلا في: مدح النعال، سماه: «**خواص ومنافع مجربة عن المثال**»، وقد أسهب في ذلك وأطنب[42]، حيث زعم أن له منافع كثيرة كتسهيل ولادة الحامل، وإبطال السحر، والقبول التام لمن لازم حمل مثاله، ومن بركته أنه إذا تم التوسل به قضيت الحاجات وفرجت الكربات، وإذا وضع على مكان الوجع ذهب الألم وشفي صاحبه، وساق في ذلك قصصا غريبة، وروايات طريفة، أقرب إلى الخرافة منها

(38) **نشر المثاني**، مخطوط بالمكتبة الأحمدية.(سنة: 1134هـ). نقلا عن المنوني، التصوير بالمغرب الإسلامي في القديم، ص: 92.

(39) نفس المخطوط.

(40) مخطوط شارح لدلائل الخيرات. استفاد منه المنوني، وهو محفوظ بالخزانة الوطنية بالرباط تحت رقم: ك 1532. ص: 426.

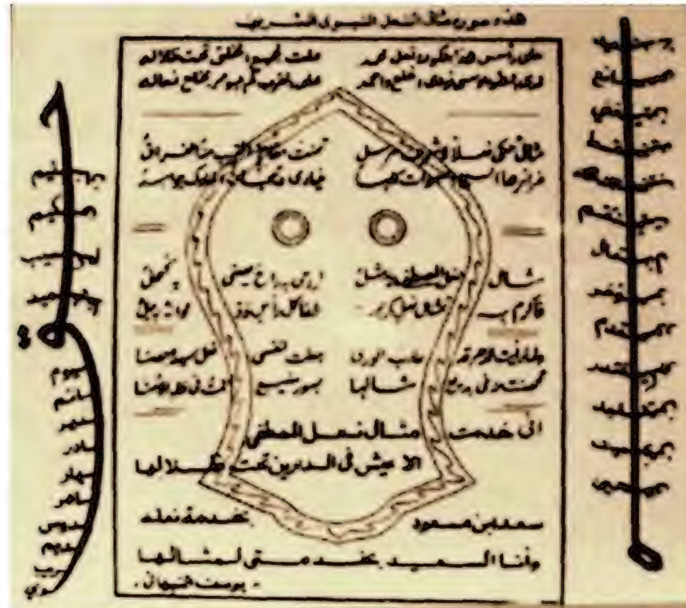
نقلا عن المنوني، التصوير بالمغرب الإسلامي في القديم، ص: 92.

(41) يقول المقري: «**ومن بعض ما ذكر في فضلها، وجرب من نفعها وبركتها، ما ذكره أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد، وكان شيخا صالحا ورعا، قال: حذوت هذا المثال لبعض الطلبة، فجاءني يوما، فقال لي: رأيت البارحة من بركة هذا النعل عجبا، أصاب زوجي وجع شديد كاد يهلكها، فجعلت النعل على موضع الوجع، وقلت اللهم أرني بركة صاحب هذا النعل، فشفاها الله للحين**».
أنظر: أزهار الرياض، ج/ 3، ص: 262.

(42) **المقري**، مدح النعال، صص: 469 - 484

إلى الصحة، من ضمنها ما وقع له في البحر سنة: 1027هـ ، حين أشرفت السفينة التي كانت تقله على الغرق، فأنجاهم الله - حسب زعمه - ببركة مثال النعل الذي كان يحمله[43].

والملاحظ أن استعمال النعل النبوي في التمائم والتعويذات، قد امتد حتى عصور متأخرة، كما يدل على ذلك (الشكل: 9).



شكل: 9 / تميمة استخدم فيها النعل النبوي، كأحد أبرز العناصر الاستشفائية[44].

وقد كانت تستخدم هذه النعال أيضا في الاستغاثة من هول الفتن كما حدث بفاس التي وضع أهلها أمثلة النعال النبوية على رؤوسهم مستشفعين بها من فتنة ابن أبي محلي[45] ، التي اندلعت في أيام أبي المعالي

(43) المقري، مدح النعال، صص: 472.

(44) www.alroqia.com/amraad/seher/lies.htm

(45) تتفق المصادر التي أرخت لحركة ابن أبي محلي عن ولادته بسجلماسة حتى أنها تسميه بالسجلماسي، وأحيانا بالفيلالي، كما يشير إلى ذلك هو بنفسه في كتابه **الاصليت**، حيث يقول انه ولد سنة 967هـ زمن السلطان السعدي أبي محمد عبد الله بن محمد الشيخ السعدي، وبها تلقى تعليمه الأولي في زاوية أبيه المعروفة بزاوية آل القاضي، قبل انتقاله إلى فاس للتعلم حتى رجع ثم غادرها رفقة عائلته لأسباب تتعلق باقتسام الإرث.

أنظر: ابن أبي محلي (أحمد)، **إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، مخطوط محفوظ بالخزانة** الحسنية، الرباط، رقم: 100. ص: 207.

زيدان السعدي سنة 1020هـ[46].

فضلا عن الاستعمال الآنف الذكر، عرف استعمال النعل النبوي كذلك في مجالات أخرى، كاستخدامه في زخرفة الساعات الشمسية كما نلاحظه من خلال ساعة جامع القرويين مثلا[47]. (أنظر شكل: 10 وشكل: 11)، أو استخدامه في صناعة بعض حلي النساء من باب التبرك كما نلاحظ ذلك من خلال (الشكل: 12).



شكل: 10 / ساعة شمسية أنشاها الحسن الأول على الجدار الشمالي لصحن جامع القرويين
تفصيل الشكل 10 المتعلق بساعة القرويين.

- وتعرف عائلة ابن أبي محلي بتافيلالت بأسرة "آل القاضي" المشهورة "بزاوية القاضي" وبامتهانها لمهنة القضاء الذي يعتبر من المهن المربحة ماديا ومعنويا، لارتباطه بالسلطة من جهة، وبمصالح الناس من جهة ثانية، ومن بين قيم هذه المهنة، النزاع الذي حصل بين "أولاد القاضي" مع عائلة "التميمي بن عاقلة"، حتى تدخل المخزن المريني لصالح "أولاد القاضي".
أنظر: القدوري (عبد المجيد):، أبو محلي نموذج الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت، منشورات عكاظ، 1991م، ص: 54 - 55.

(46) اليفرني، نزهة الحادي، ص: 206 - 207.

(47) يذكر عبد الهادي التازي أن هذه الساعة الشمسية أنشاها الحسن الأول على الجدار الشمالي للصحن وقد صنعها المؤقت الجيلالي الرحالي المكناسي انظر: التازي (عبد الهادي)، «جامع القرويين. المسجد والجامعة بمدينة فاس»، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1972م، ص: 834.



شكل: 11

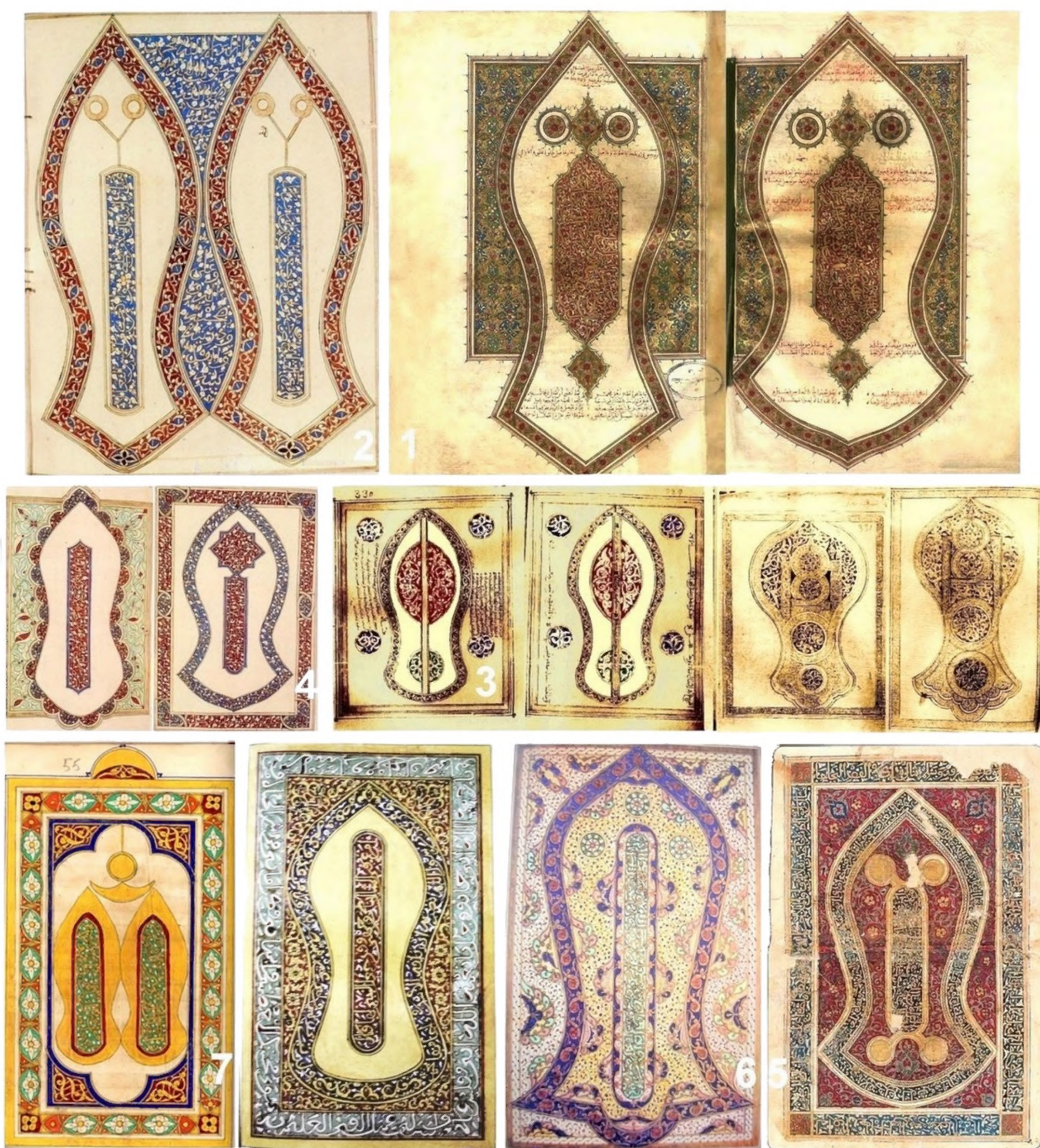


شكل: 12 / توظيف تمثال النعل النبوي في حلي النساء(48).

---

(48) أنظر الموقع التالي:
www.69.63.186.12/notes.php?id=672380333&start=90&hash=ddb7d367bedea6562 6668df5ad311380.

و في الختام نشير إلى أن أهم مجالات استعمال النعل النبوي، **هي المجالات المتعلقة** بكتب الأوراد والأذكار والمديح النبوي، وعلى رأسها: «**كتاب دلائل الخيرات**» للجزولي، الذي ارتبط رسم مثال النعل النبوي به أيما ارتباط، وقد قمنا بتشكيل لوحة في الشكل: 13، جمعنا فيها رسوما منوعة لنعال نبوية، معظمها من نسخ متنوعة **لدلائل الخيرات** وغيرها من المخطوطات، حذاها الخطاطون بالإسناد تواترا عن النعل النبوي الذي كان يملكه أحمد المنصور الذهبي، أو عن المثال الذي حذاه المقري عن أمثلة شيوخه.



1 من مخطوط الشجرة الشماء. محفوظ بخزانة القرويين تحت رقم: 1/1

2 من مخطوط في علم الحديث محفوظ بالخزانة الملكية تحت رقم: 7911

3 من رحلة الغيغائي. مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية – الرباط تحت رقم: 12

4 من مخطوط في علم الحديث محفوظ بالخزانة الملكية تحت رقم: 7911

5 من مخطوط دلائل الخيرات. محفوظ بالمكتبة الوطنية. باريس. تحت رقم: arabe 6983

6 من مخطوط: "ذخيرة الغني والمحتاج في صاحب اللواء والتاج" للمعطي بن محمد صالح الشرقاوي، المكتبة الوطنية - الرباط، رقم: ج518

7 من مخطوط: "ذخيرة الغني والمحتاج في صاحب اللواء والتاج"، للمعطي بن محمد صالح الشرقاوي، المكتبة الوطنية - الرباط، رقم: ج513 (نسخة أخرى)

رسوم لنعال نبوية علوية، حذاها الخطاطون بالاسناد تواترا عن النعل النبوي الذي كان يملكه المنصور السعدي

شكل: 13

لائحة المصادر والمراجع

- **ابن أبي محلي (أحمد)، إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، مخطوط محفوظ بالخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 100.**
- **التازي (عبد الهادي)**، «جامع القرويين. المسجد والجامعة بمدينة فاس»، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1972م.
- **تيمور (أحمد)، الآثار النبوية**، مطبعة: دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى: 1951م.
- **خبطة (محمد عبد الحفيظ)، المصاحف والكتب المخطوطة في المغرب خلال العصرين المريني والسعدي. مساهمة في دراسة أصناف الخط المغربي وأقلامه**، أطروحة جامعية غير منشورة، كلية الآداب - سايس. فاس 2010 - 2011، ج/ 2.
- **السبتي (ابن رشيد)، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة**، المعروف برحلة ابن رشيد السبتي، تحقيق: مفتي الديار التونسية؛ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، ج/ 2. الدار التونسية للنشر، طبعة: 1982م. ج/ 5. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى: 1988م.
- **السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)، الأجوبة المرضية**، تحقيق: الدكتور محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار الراية، الطبعة الأولى: 1997م، ج/ 1.
- **العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد)، الرحلة العياشية**، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى: 2006، ج/ 2.
- **القدوري (عبد المجيد):، أبو محلي نموذج الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت**، منشورات عكاظ، 1991م.
- المقري (أحمد بن محمد):

  * **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق: مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، منشورات المعهد الخليفي للأبحاث المغربية (بيت المغرب)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج/ 1، طبعة: 1939م. ج/ 3، طبعة: 1942م.
  * **فتح المتعال في مدح النعال**، تحقيق: علي عبد الوهاب وعبد المنعم فرج درويش، دار القاضي عياض للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى: 1997م.
- **المنوني (محمد)، «التصوير بالمغرب الإسلامي في القديم»، مجلة دعوة الحق**، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد: 1/ 2، السنة الرابعة عشرة، يناير 1971م.

صص: 83 - 92. تمت إعادة نشره في كتاب: الفقيه المنوني. **أبحاث مختارة، مطبعة دار المناهل،** منشورات وزارة الشؤون الثقافية، الرباط ، فبراير: 2000م. صص: 207 - 219.

- **النبهاني (يوسف بن إسماعيل)، جواهر البحار في فضائل النبي المختار- ﷺ- طبعه يوسف** النبهاني، بيروت، طبعة: 1916م، ج/ 3،
- **النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد بني آدم لابن حجر**، ويليه: كتاب جواهر البحار للنبهاني، ويليهما: الحقائق في قراءة مولد النبي عليه السلام، مكتبة الحقيقة، استانبول، طبعة: 2003، بدايته من الصفحة: 133.
- **اليفرني (محمد الصغير بن الحاج)، نزهة الحادي، بأخبار ملوك القرن الحادي، علق عليه** وصححه: المحقق هوداس، مطبعة: بردان وشركاؤه، نشر: إرنست لورو، مكتبة مدرسة اللغات الشرقية الحية، باريس، طبعة: 1888م.



دار أبي رقراق للطباعة والنشر
رقم الايداع بالخزانة العامة 1977/1
الرقم الدولي الموحد : 1160 - 0851